

التحرير والتنوير

ووجه التسمية وقوع لفظ (صفا) فيها وهو صف القتال فالتعريف باللام تعريف العهد .
وذكر السيوطي في الإتقان : أنها تسمى (سورة الحواريين) ولم يسنده . وقال الآلوسي تسمى (سورة عيسى) ولم أقف على نسبه لقائل . وأصله للطبرسي فلعله أخذ من حديث رواه في فضلها عن أبي بن كعب بلفظ (سورة عيسى) . وهو حديث موسوم بأنه موضوع . والطبرسي يكثر من تخريج الأحاديث الموضوعية . فتسميتها (سورة الحواريين) لذكر الحواريين فيها . ولعلها أول سورة نزلت ذكر فيها لفظ الحواريين .
وإذا ثبت تسميتها (سورة عيسى) فلما فيها من ذكر (عيسى) مرتين . وهي مدنية عند الجمهور كما يشهد لذلك حديث عبد الله بن سلام . وعن ابن عباس ومجاهد وعطاء أنها مكية ودرج عليه في الكشاف والفخر . وقال ابن عطية : الأصح أنها مدنية ويشبه أن يكون فيها المكى .
واختلف في سبب نزولها وهل نزلت متتابعة أو متفرقة متلاحقة .
وفي جامع الترمذي " عن عبد الله بن سلام قال : قعدنا نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فتذاكرنا فقلنا : لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله ﷻ لعملناه " فأنزل الله ﷻ تعالى (سبح ﷻ ما في السماوات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون) قال عبد الله بن سلام فقرأها علينا رسول الله ﷺ . وأخرجه الحاكم وأحمد في مسنده وابن أبي حاتم والدرامي بزيادة فقرأها علينا رسول الله ﷻ حتى ختمها أو فقرأها كلها .
فهذا يقتضي أنهم قبل لهم : لم تقولون ما لا تفعلون قبل أن يخلفوا ما وعدوا به فيكون الاستفهام مستعملا مجازا في التحذير من عدم الوفاء بما نذروه ووعدوا به .
ما تقولون لم آمنوا الذين أيها يا) تعالى قوله في عباس ابن عن طلحة بن علي وعن A E (لا تفعلون) قال : كان ناس من المؤمنين قبل أن يفرض الجهاد يقولون : لوددنا أن الله عز وجل دلنا على أحب الأعمال إليه فنعمل به فأخبر الله ﷻ أن أحب الأعمال : إيمان به وجهاد أهل معصيته الذين خالفوا الإيمان ولم يقرؤا به . فلما نزل الجهاد كره ذلك ناس من المؤمنين وشق عليهم . فأنزل الله ﷻ سبحانه وتعالى (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون) . ومثله عن أبي صالح أن السورة نزلت بعد أن أمروا بالجهاد بآيات غير هذه السورة . وبعد أن وعدوا بالانتداب للجهاد ثم تقاعدوا عنه وكرهوه . وهذا المروي عن ابن عباس وهو أوضح وأوفق بنظم الآية والاستفهام فيه للتوبيخ واللوم وهو المناسب لقوله بعده (كبر مقتا عند الله ﷻ أن تقولوا ما لا تفعلون) .

وعن مقاتل بن حيان : قال المؤمنون : لو نعلم أحب الأعمال إلى الله لعملنا به فدلهم الله فقال : (إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا) فابتلوا يوم أحد بذلك فولوا مدبرين فأنزل الله (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون) . ونسب الواحدي مثل هذا للمفسرين وهو يقتضي أن صدر الآية نزل بعد آخرها .
وعن الكلبي : أنهم قالوا : لو نعلم أحب الأعمال إلى الله لسارعنا إليها فنزلت (هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم) الآية . فابتلوا يوم أحد فنزلت (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون) تعيرهم بترك الوفاء . وهو يقتضي أن معظم السورة قبل نزول الآية التي في أولها .

وهي السورة الثامنة والمائة في ترتيب نزول السور عند جابر بن زيد . نزلت بعد سورة التغابن وقبل سورة الفتح . وكان نزولها بعد وقعة أحد .
وعدد آياتها أربع عشرة آية باتفاق أهل العدد .
أغراضها .

أول أغراضها التحذير من إخلاف الوعد والالتزام بواجبات الدين .
والتحريض على الجهاد في سبيل الله والثبات فيه وصدق الإيمان .
والثبات في نصره الدين .
والإلتساء بالصادقين مثل الحواريين .
والتحذير من أذى الرسول A تعريضا باليهود مثل كعب بن الأشرف .
وضرب المثل لذلك بفعل اليهود مع موسى وعيسى عليهما السلام .
والتعريض بالمنافقين .
والوعد على إخلاص الإيمان والجهاد بحسن مثوبة الآخرة والنصر والفتح .
(سبح الله ما في السماوات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم [1])